تعلمت من ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٤)

١/ ٧/ ١٤٣٦هـ

المعْلمُ الرابع[١]: حبّه لنشر العلم، واغتنام الفرص لتبليغ الشريعة:

كان يمرّ بي في بعض التراجم في الثناء على أحد العلماء: «أن أوقاته معمورةٌ ببث العلم»، أو «ليس له همّ إلا في نشر العلم»، ونحو هذه العبارات، التي رأيتُها عيانًا في حياة شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لقد كان حبّ العلم وتبليغُه يَسري في عروقه، ولا تحين فرصةٌ إلا ويهتبلها في نشره، مع التزامٍ قوي بالوقت الذي خصّصه للناس في الإجابة عن أسئلتهم في الهاتف.

ومن صور هذا الحب لنشر العلم: أنه كان إذا سافر من بلده عنيزة يضع (المجيب الآلي) الذي يرد على الاتصالات -وذلك قبل استعمال

(١) أشرتُ في الجزء الأول والثاني والثالث من هذه السلسلة إلى ثلاثة من معالم التميز في شخصية شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي: (وضوح الهدف)، و(الثبات على المنهج والهدف الذي رسمه لنفسه)، و(العناية بالقرآن حفظًا وفهمًا وعملًا)، وأتابع في هذا المقال ذِكر بعض تلكم المعالم.

الجوالات-، ويبيّن رقـــم الاتصال الجديد في المنطقـــة التي ذهب إليها، ســـواء في مكة المكرمة أم الطائف أم الرياض، مع أنه كان يسعه الاكتفاء بما يتلقاه من أسئلةِ الناس واستفتاءاتهم في تلك المناطق التي يسافر إليها، لكنها الدِّقة والالتزام، والشعور بمهمة البلاغ عن الله ورسوله.

وأتذكر مرةً أنه زاره بعضُ القضاة في إحدى زياراته للرياض-وكنتُ شاهدًا لهذا الموقف في منزل أخيه الشيخ عبدالرحمن بن صالح العثيمين- فطلبوا منه أن يخصِّص كل الوقت لهم -أي وقت العصر-، وكان شيخنا قد أحـــال المتصلين على هاتفه على ذلك الوقت الـــذي زاره فيه القضاة، فقال: لا أســـتطيع ذلك، وقد أحلتُ الناس على هذا الوقت، ولكن لكم سؤال وللمتصلين سؤال. فعجبتُ من هذه الدقّة! والحرص على الالتزام بما سجّله، ووعد به.

وكان من عادته إذا جلس في مجلس عام، أن يطلب من أحد الحضور -وخاصة من صغار الســـنّ- أن يقرأ القرآن، ثـــم يعلّق على الآيات، ثم يستقبل الأسئلة.

ومن أشدّ المواقف تأثيرًا، التي شاهدها الملايين من الناس، وسمعوها، تلكـــم الأيام الأخيرة التي درّس فيها في المســـجد الحرام في رمضان عام ١٤٢١هـ، والتي بلغ فيها المرضُ والألم من جســـده مبلغه، وكان يؤدي الـــدروس بصعوبـــة بالغة، وكان الأطبـــاء يؤكدون عـــلى أهمية راحته، فيخبرهـــم أن راحته في التدريس! بل حدّث أحـــدُ أولاده أنهم ذهبوا به مرةً في صباح أحد أيام العشر إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي بجدة بسبب تردّي صحته، فلما كشفوا عليه، طَلَبَ الرجوعَ به إلى مكّة المكرمة،

فوافق الفريق الطبي بعد إلحاح وضغط من شـــيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كل هذا كي يرجع إلى مكة المكرمة ليلقي درسه لذلك اليوم.

لقـــد كانت هذه المواقف -وأمثالها كثير- تعـــبّر أبلغ التعبير عن هذه الحال التي كان عليها، يســـوقه -إضافة إلى حب نشر العلم- الخوف من معرّة كتْمه، وهو الذي صرّح بذلك مرارًا، ومن ذلك قوله: «والله نخشى من الفتيا، ولولا أن الإنسان يخشى من كتمان العلم، أو أن السائل يذهب إلى إنســـان جاهل، ويفتيه؛ لكان الإنسان يتوقف عن الفتيا ليَسلَم، لكن من اســـتُفتي وعنده علم فإن عدم إقدامه على الفتيا ليس بسلامة، بل هو عطب»[1].

ولقد رأيتُ أثر هذا البذل والعطاء المتدفق على ســـلوك بعض طلابه، الذيـــن تصدّروا بعد ســـنوات لنفع الناس وإفتائهـــم، وتدريس العلوم الشرعية، فلقد رأى الناسُ منهم بذلًا مشـــهودًا للعلم في كل الوســـائل المتاحة، ســـواء في المســـاجد أم في الفضائيـــات أم في مواقـــع التواصل الاجتماعي وغيرها، فبارك الله فيهم، ورحم الله شـــيخنا، وجزاه عنا خير الجزاء، وللحديث صلةٌ إن شاء الله.

(١) دروس الحرم المدني (٤/ ٤).